أسلوب التنزيل في نصرة الحبيب صلى الله عليه وسلم من خلال الآيات المكية

إعداد

الدكتور:إبراهيم بن محمد الدومري

عضو هيئة التدريس

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

من ٢٩٦٧ إلى ٣٠٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستيعنه، ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً.

وأشهد أ لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أما بعد ..

فإن الرسل سفراء الله تعالى إلى أقوامهم ؛ بهم يهتدون ، وبسنتهم يعملون ، وعلى آثارهم يقتدون ؛ أنار الله بهم الظلمات ؛ وأخرج بهم الناس من الكفر والضلال إلى النور والهداية ، ففتح بهم آذاناً صماً وقلوباً غلفاً ، وأقام بهم الحجة على الخلق ، وأنزل عليهم الكتب ليهتدوا بها .

وكان خاتم الأنبياء وسيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم نوراً أضاء الله به ما كان يعم الكون من ظلمات الجاهلية ؛ فهدى الله به الذين آمنوا وأخرجهم من الظلمات إلى النور ، فالله الحمد والمنة على هذه النعمة العظيمة ، وقد أيده الله بالمعجزات الباهرات الدالة على صدق نبوته ، ومن أعظم تلك المعجزات القرآن الكريم كلام الله جل وعلا ، بين الله فيه الطريق المستقيم الذين من سلكه أفلح وفاز ، وقد أعجزت آيات القرآن فصحاء قريش فلم يستطيعوا أن يأتوا بمثله أو بسورة أو بآية ؛ بل أقروا أنه ليس من كلام البشر .

وفي هذا البحث حاولت بيان أسلوب الآيات المكية في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكيف رد الله تعالى على المشركين ما وصفوا به رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد جمعت نماذج من تلك الآيات التي ردت على المشركين شبههم وفندها ، راجياً من الله الكريم التوفيق والسداد.

وقد عزوت الآيات التي اشتمل عليها البحث بذكر اسم السورة ورقم الآية.

أما الأحاديث فقد خرجت ما ورد من أحاديث، ذاكراً اسم الكتاب والباب ورقم الجزء

والصفحة.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وبابين وخاتمة

المبحث الأول: إثبات نبوته عليه الصلاة والسلام في القرآن وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تبشير الكتب السابقة بنبوته عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثاني: إقرار الكفار في نفوسهم بصدقه عليه الصلاة والسلام .

المطلب الثالث: تصديق القرآن لنبوته عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثاني: أسلوب القرآن في دفع التهم التي وجهها إليه المشركون، وفيه سبعة مباحث:

المطلب الأول: اتهامه بالسحر.

- دوافع تلك التهمة.

- حقيقة تلك التهمة مع واقعه عليه الصلاة والسلام.

- الرد القرآني على هذه التهمة.

المطلب الثاني: اتهامه بالكهانة.

-: دوافع تلك التهمة.

- حقيقة تلك التهمة مع واقعه عليه الصلاة والسلام.

- الرد القرآني على هذه التهمة.

المطلب الثالث: اتهامه بالجنون.

- دوافع تلك التهمة.

- حقيقة تلك التهمة مع واقعه عليه الصلاة والسلام.

- الرد القرآني على هذه التهمة.

المطلب الرابع: اتهامه بالشعر.

- دوافع تلك التهمة.

- حقيقة تلك التهمة مع واقعه عليه الصلاة والسلام.

- الرد القرآني على هذه التهمة.

المطلب الخامس: قولهم إنما يعلمه بشر.

- دوافع تلك التهمة.
- حقيقة تلك التهمة مع واقعه عليه الصلاة والسلام.
- الرد القرآني على هذه التهمة.

المطلب السادس: قولهم إنه افترى القرآن من عند نفسه.

- دوافع تلك التهمة.
- حقيقة تلك التهمة مع واقعه عليه الصلاة والسلام.
- الرد القرآني على هذه التهمة.

المطلب السابع: قولهم بأن القرآن أساطير الأولين.

- دوافع تلك التهمة.
- حقيقة تلك التهمة مع واقعه عليه الصلاة والسلام.
- الرد القرآني على هذه التهمة.

المبحث الثالث: المعجزات التي طلبها المشركون شرطاً لإيمانهم، وفيه عشرة مباحث:

المطلب الأول: طلبهم أن يأتيهم بالله والملائكة.

المطلب الثاني: طلبهم أن يكون له بيت من زخرف.

المطلب الثالث: طلبهم أن يرقى في السماء.

المطلب الرابع: طلبهم أن يحوِّل جبال مكة سهولاً وأنهاراً.

المطلب الخامس: طلبهم انشقاق القمر.

المطلب السادس: طلبهم أن ينزل عليه ملك.

المطلب السابع: طلبهم الاتيان بقرآن آخر.

المطلب الثامن: طلبهم أن يفجر لهم الينابيع من الأرض.

المطلب التاسع: طلبهم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب.

المطلب العاشر: طلبهم أن يسقط السماء عليهم كسفاً.

ثم الخاتمة وأهم نتائج البحث، ثم الفهارس.

المبحث الأول

إثبات نبوته عليه الصلاة والسلام في القرآن

ويحتوي على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تبشير الكتب السابقة بنبوته عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثاني: إقرار الكفار في نفوسهم بصدقه عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثالث: تصديق القرآن لنبوته عليه الصلاة والسلام.

المطلب الأول

تبشير الكتب السابقة بنبوته عليه الصلاة والسلام

لقد كانت نبوة محمد عليه الصلاة والسلام مرتقبة، فكان أهل الكتاب يترقبون مبعث هذا النبي الذي تبشر به كتبهم التي بين أيديهم، يعرفون من خلالها أوصافه الدقيقة التي لا تنطبق إلا عليه، كما قال تعالى: الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمُ [الأنعام: ٢٠].

والمعن أن اليهود والنصارى الذين أنزلت عليهم التوراة والإنجيل، يعرفون محمداً صلى الله عليه وسلم بنعته وصفته، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ من بين الصبيان. لكنهم خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ أي: غبنوا أنفسهم { فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ } .

يقال البغوي : "وذلك أن الله جعل لكل آدمي منزلا في الجنة ومنزلا في النار، وإذا كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل أهل النار في الجنة، ولأهل النار منازل أهل الجنة في النار، وذلك الخسران".(١)

فأهل الكتاب كانوا يعرفونه بصفاته وأوصافه بما كان عندهم من الكتب، التي بشرت بنبوته وصفاته وبلده، لذا فقد جاءت آيات كثيرة تخاطب أهل الكتاب وتحثهم على الإيمان به، لأنه هو النبي المرسل الذي يجدون صفته في كتبهم، قال تعالى:(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ) [المائدة:١٥].

وقد اخبر سبحانه في كتابه أنه قد أخذ العهد والميثاق على الأنبياء ليؤمنوا بهذا الرسول ويصدقونه، قال تعالى : (وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ) [آل عمران: ٨١].

أخرج البخاري بسنده عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قلت أخبرني عن صفة رسول الله عليه الصلاة والسلام في التوراة؟ فقال: أجل،

---

(١) انظر: معالم التنزيل للبغوي ١٣٤/٣

والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً نذيراً، وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخّاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه اله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا لا إله إلا الله، ويفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً)[1].

ولعل أظهر تلك الصفات التي كان أهل الكتاب يعرفونها ما جرى بين أبي سفيان بن حرب وهرقل عندما سأله عن صفات النبي عليه الصلاة والسلام إذ كان وقت ذاك مشركاً.

أخرج البخاري بسنده أن عبد الله بن عباس رضي الله عنه، أخبره أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله عليه الصلاة والسلام مادٌّ فيها أبا سفيان وكفار قريش فأتوه وهم بإيلياء، فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم، ودعا بترجمانه فقال: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت أنا أقربهم نسباً، فقال: أدنوه مني وقربوا أصحابه فأجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل هذا الرجل فإن كذبني فكذبوه، فوالله لولا الحياء من أن يأثروا علي كذباً لكذبت عنه، ثم كان أول ما سألني عنه أنه قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب. قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا. قال: فهل كان من آبائه من مَلِك؟ قلت: لا. قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا، قال: فهل يغدر؟ قلت: لا. ونحن منه في مدة لا ندري ماهو فاعل فيها. قال: ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة. قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت الحرب بيننا وبينه سجال. ينال منا وننال منه. قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول اعبدوا الله وحده

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب: البيوع، باب: كراهية السخب في الأسواق، ح ٢١٢٥).

ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف والصلة، فقال لترجمان: قل له سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول؟ فذكرت أن لا، فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يتأسى بقول قيل قبله، وسألتك هل كان من آبائه من ملك؟ فذكرت أن لا، قلت: فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله، وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أن ضعفاؤهم اتبعوه وهم أتباع الرسل، وسألتك أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم، وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب، سألتك هل يغدر؟ فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك بما يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدقة والعفاف، فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتي وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقائه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه)[1]. وكذلك أيضاً قصة ورقة بن نوفل، عندما ذهبت إليه خديجة بالنبي عليه الصلاة والسلام أول ما بدئ به الوحي، وكان ورقة رجلاً قد تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فلما أخبره بخبره قال: هذا الناموس الذي أنزله الله على موسى، فعرف بذلك أنه هو النبي المرسل.

ومن الأدلة أيضاً قصة إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه وتنقله من راهب إلى راهب، حتى دُلَّ على النبي عليه الصلاة والسلام ومكان مبعثه، فذهب إلى المدينة، فلما هاجر إليها رسول الله عليه الصلاة والسلام، ذهب إليه سلمان وعرفه بأوصافه التي كان قد علمها من قبل فأعلن إسلامه[2].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب بدء الوحي / باب ٦/ح٢٧).

(٢) انظر: القصة بطولها في سيرة ابن هشام ١/٢٤١-٢٤٩.

المطلب الثاني

إقرار الكفار في نفوسهم بصدقه عليه الصلاة والسلام

إن الكبر والحسد داءان إذا استمكنا من قلب الإنسان منعاه من قبول الحق، ودفعاه إلى صده وتكذيبه بأي وجه كان، مع علمه في قرارة نفسه أنه الحق والصدق، ولكن الشيطان يسول له ويملي.

وهذان الداءان قديمان، فقد عرفا منذ القدم، فالحسد هو الذي دفع إبليس لعصيان ربه تبارك وتعالى، عندما أمره بالسجود فامتنع كبراً وحسداً، قال تعالى:(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) [البقرة: ٣٤]، وبذلك استحق لعنة الله تعالى.

وهذان الداءان هما اللذان أهلكا الطغاة السابقين؛ ففرعون لما جاءه موسى بالحق استكبر وتجبر، وهو يعلم في قرارة نفسه أنه رسول من رب العالمين، قال سبحانه وتعالى عنه وعن قومه: (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) [النمل: ١٤].

قال ابن عطية في المحرر الوجيز :" عجبه تعالى من عقاب { المفسدين } قوم فرعون وسوء منقلبهم حين كذبوا موسى وفي هذا تمثيل لكفار قريش إذ كانوا مفسدين مستعلين "[١]

وفي الوجيز للواحدي قوله: وجحدوا بها ظلماً وترفُّعاً عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى وهم يعلمون أنَّها من عند الله عزَّ وجلَّ[٢]

وقال تعالى أيضاً عن فرعون عندما قام يعلن على الملأ أنه هو رب العالمين وأن موسى كاذب في دعواه فقال تعالى: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحاً لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ){٣٨} وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ

---

(١) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية ٤/٢٥٢

(٢) انظر: الوجيز للواحدي ٢/٤٩٠

[غافر: ٣٨-٣٩].

فلما خاف فرعون أن يتمكن كلام هذا المؤمن في قلوب القوم، أوهم أنه يمتحن ما جاء به موسى من التوحيد، فإن بان له صوابه لم يخفه عنهم، وإن لم يصح ثبتهم على دينهم، فأمر وزيره هامان ببناء الصرح.

قال الكلبي : " فبنى الصرح ، وكان بلاطه خبث القوارير ، وكان الرجل لا يستطيع القيام عليه من طوله مخافة أن تنسفه الرياح ، وكان طوله في السماء خمسة آلاف ذراع ، وعرضه ثلاثة آلاف ذراع ، فلما فرغ من بنائه جاء جبريل عليه السلام فضرب جناحه على الصرح ، فهدمه ثم قال تعالى : { وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الكاذبين } أي : أحسب موسى بما يقول أن في السماء إلهاً من الكاذبين . "[1]

وقال تعالى عنه أيضاً:(وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَـذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ{٥١} أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ{٥٢} فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاء مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ) [الزخرف: ٥١-٥٣].

وهكذا يزين الشيطان لأولئك الطغاة الكبر في نفوسهم، وأنهم على الحق وهم كاذبون، ويزين لهم أيضاً لم لا نكن نحن الأنبياء وإنما يكون أولئك الضعفاء، وما علموا أن النبوة فضل من الله يؤتيه من يشاء، قال تعالى: (اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ) [الأنعام: ١٢٤].

ويستمر هذان الداءان وتتوارثه تلك الأجيال الخبيثة النفوس، المتكبرة عن الحق، فكل قوم كذبوا نبيهم، هم يعلمون في قرارة أنفسهم أنهم على الباطل وأنه صادق فيما يخبر به، ولكن الكبر منعهم من قبول الحق، وهذا هو ما صد قريش عن الإيمان برسالة النبي عليه الصلاة والسلام، وهم يعلمون صدقه وأنه لا ينطق عن الهوى.

---

(١) انظر: بحر العلوم للسمرقندي ١٣/٤

المطلب الثالث :

تصديق القرآن لنبوته عليه الصلاة والسلام

القرآن الكريم هو معجزة رسول الله عليه الصلاة والسلام الخالدة التي تحدى الله سبحانه به العرب خاصة، وكل البشر عامة على أن يأتوا بمثله أو بجزء منه ولو بحديث، قال تعالى: فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ [الطور: ٣٤].

وأنَّا لهم!، ولن يستطيعوا إلى ذلك سبيلاً، قال تعالى: فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ [البقرة: ٢٤].

لذلك من البدهي أن يأتي القرآن بما ينص على صدقه عليه الصلاة والسلام، وبأساليب متعددة، ما بين قَسَم، كقوله تعالى: (يس{١} وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ{٢} إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ{٣} عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) [يس: ١-٤].

قال النقاش: "لم يقسم الله تعالى لأحد من أنبيائه بالرسالة في كتابه إلا له، وفيه من تعظيمه" (١)

فقوله تعالى { إِنَّكَ لَمِنَ المرسلين } جواب القسم ، ومعناه : يا إنسان { إِنَّكَ لَمِنَ المرسلين } يعني : رسولاً كسائر المرسلين جواباً لقولهم : لست مرسلاً (٢)

وتارة يكون بالاخبار بنبوته ورسالته، كقوله تعالى: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ) [فاطر: ٢٤]، وقوله تعالى: (تِلْكَ آيَاتُ اللّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) [البقرة :٢٥٢].

وتارة بطريق الحصر، قال تعالى: (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد)[الرعد: ٧].

وهذه الآية بينت حال النبي صلى الله عليه وسلم والذين كفروا من مشركي العرب ، أو من أنكر نبوته ، ولم يعتدوا بالآيات الخارقة المنزلة كانشقاق القمر ، وانقياد الشجر ، وانقلاب العصا سيفاً ، ونبع الماء من بين الأصابع ، وأمثال هذه . فاقترحوا عناداً آيات

---

(١) انظر: انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥/١٥

(٢) انظر: بحر العلوم للسمرقندي ٩٣/٣

كالمذكورة في سورة الإسراء ، وفي سورة الفرقان كالتفجير للينبوع ، والرقي في السماء ، والمَلَك ، والكنز ، فقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : (إنما أنت منذر) تخوفهم من سوء العاقبة ، وناصح كغيرك من الرسل ، ليس لك الإتيان بما اقترحوا . إذ قد أتى بآيات عدد الحصا ، والآيات كلها متماثلة في صحة الدعوى ، لا تفاوت فيها . فالاقتراح إنما هو عناد ، ولم يجر الله العادة بإظهار الآيات المقترحة إلا للآية التي حتم بعذابها واستئصالها. (١)

وتارة بذكر بعض صفاته (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً) [الأحزاب: ٤٥-٤٧]، وقوله تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَنَذِيرا) [الفرقان: ٥٦]، وقوله تعالى (قل لَّوْ شَاء اللّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِّن قَبْلِهِ) [يونس: ١٦]، إلى غير ذلك من الآيات التي قرر فيها القرآن صدق نبوته وثبوت رسالته إضافة إلى ذلك فإن القرآن تضمن الرد على الكفار رداً عنيفاً على التهم التي وجهوها إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام فرد عليهم اتهامه بالشعر، فقال تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلاَمُهُم بِهَذَا [الطور: ٣٠-٣١] ، وقال تعالى (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ) [يس: ٦٩]، ورد عليهم اتهامهم بأنه يكتبه من عند نفسه، فقال: (وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ) [العنكبوت: ٤٨].

ومن ذلك أن القرآن ذكر أموراً وأشياء من الغيب التي لا يستطيع بشر أن يأتي بها من عند نفسه إلا بوحي من الله تعالى كما يظهر ذلك في قصة سورة الكهف حين سأل الكفار أن يخبرهم عن فتية ذهبوا في الزمان الغابر، وعن رجل طواف، وعن الروح، وجاء القرآن يرد عليهم ويكذبهم والقصة كما كان اليهود يعرفونها ويعلمون أنه لا يعلم ذلك إلا بوحي من الله(٢).

---

(١) انظر: البحر المحيط ٣٦٠/٥

(٢) انظر: البداية والنهاية ١٠٤/٢، تفسير ابن كثير ٧٦/٣.

المبحث الثاني

أسلوب القرآن في دفع التهم التي وجهها إليه المشركون

المطلب الأول: اتهامه بالسحر.

المطلب الثاني: اتهامه بالكهانة.

المطلب الثالث: اتهامه بالجنون.

المطلب الرابع: اتهامه بالشعر.

المطلب الخامس: قولهم إنما يعلمه بشر.

المطلب السادس: قولهم أنه افترى القرآن من عند نفسه.

المطلب السابع: قولهم بأن القرآن أساطير الأولين.

المطلب الأول : اتهامه بالسحر

- دوافع تلك التهمة:

إن قريشاً عندما وجهت هذه التهمة وغيرها إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام لم تكن هي الأولى من الأمم، بل قد سبقتها أمم؛ كل منها وصفت رسولها بذلك الوصف وبغيره، فرموهم بالسحر والجنون وبغير ذلك، وكل ذلك أسلوب من أساليب المكذبين لدفع الحق ولكن أنى لهم ذلك، قال تعالى: (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون) [الذاريات: ٥٢]، فهي طبيعة المعاندين والمكذبين أن يبحثوا عن أي شيء يعارضوا به الحق، ويصدوا الناس عنه، فقد اتُهِمَ موسى بالسحر قال الله تعالى (قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى) [طه: ٦٣]، واتُهم صالح وشعيب عليهما السلام بالسحر، ثم اتُهم خاتم الرسل بالسحر فقال عنهم: قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى [ص: ٤].

والسحر يطلق على ثلاثة معانٍ في اللغة كما ذكر الراغب في مفرداته:

الأول: الخداع وتخيلات لا حقيقة لها؛ نحو ما يفعله المشعبذ بصرف الأبصار عما يفعله لخفة يد، قال تعالى: (قَالَ أَلْقُوْاْ فَلَمَّا أَلْقَوْاْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ) [الأعراف: ١١٦].

الثاني: استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب إليه، كقوله تعالى: (هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ{٢٢١} تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ) [الشعراء: ٢٢١-٢٢٢]، والثالث: ما يذهب إلى الأغتام وهو اسم لفعل يزعمون أنه من قوته يغير الصور والطبائع فيجعل من الإنسان حماراً ولا حقيقة لذلك عند المحصلين"[١].

وفي لسان العرب: والسحر الأخذة وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر، قال الأزهري: "وأصل السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره، فكأن الساحر لما أرى

---

(١) مفردات الراغب ٤٠٠-٤٠١، مادة "سحر".

الباطل في صورة الحق وخيل الشيء على غير حقيقته قد سحر الشيء عن وجهه أي: صرفه.

قال يونس: تقول العرب: ما سحرك عن وجه كذا وكذا، أي ما صرفك عنه"أ.هـ[1].

ثم إن مما دفع المشركين أن يلقوا بهذه التهمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اعترف به الوليد ابن المغيرة عندما جمع قومه وقد حضر الموسم فقال: يا معشر قريش إنه حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ويرد قولكم بعضه بعضاً، قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقلم لنا رأياً نقول به، قال: بل أنتم فقولوا أسمع.

قالوا: نقول كاهن، قال لا والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه، قالوا: فنقول مجنون، قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون، وعرفناه، فما هو بخنقه، ولا تخالجه ولا وسوسته، قالوا: فنقول شاعر، قال: ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه، وهزجه، وقريضه، ومقبوضه، ومبسوطه، فما هو بالشعر.

قالوا فنقول ساحر: قال: ما هو بساحر لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم، قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال والله إن لقوله لحلاوة وإن أصله لعزق وإن فرعه لجناة، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً، إلا عرف أنه باطل وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر، جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجته وبين المرء وعشيرته، فتفرقوا عنه بذلك وجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسى لا يمر بهم أحدٌ، إلا حذروه وذكروا لهم أمره فأنزل الله فيه: ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً{١١} وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً{١٢} وَبَنِينَ شُهُوداً{١٣} وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً{١٤} ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ{١٥} كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً{١٦}[المدثر: ١١-١٦].

---

(١) لسان العرب ٣٤٨/٤، مادة "سحر".

- حقيقة تلك التهمة مع واقعه عليه الصلاة والسلام:

إن شخص الرسول عليه الصلاة والسلام الذي تربى على العفة والطهارة والصدق والأمانة منذ صغره وقبل مبعثه وما عرف عنه من حسن السيرة، وهذا السلوك يتنافى مع طبيعة الساحر والمشعوذ الذي يعتمد في عمله على أساس الكذب والخداع والتمويه، يدل على هذا حادثة بدء الوحي حينما جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو في غار حراء فغطة ثلاث مرات وفي كل مرة يقول له إقرأ ، فيقول : ما أنا بقارئ، قال: فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال (اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال: زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع، ثم قال لخديجة: أي خديجة مالي وأخبرها الخبر؛ قال: لقد خشيت على نفسي. قالت له خديجة: كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وهو ابن عم خديجة أخي أبيها وكان أمرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني، ويكتب من الانجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخا كبيراً قد عمى فقالت له خديجة : أي عم اسمع من ابن أخيك . قال ورقة بن نوفل : يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى . فقال له ورقة : هذا هو الناموس الذى أنزل على موسى يا ليتني فيها جذعاً يا ليتني أكون حيا حين يخرجك قومك . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو مخرجي ؟ هم قال ورقة : نعم لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً. (١)

---

(١) انظر: عيون الأثر ١١٥/١، ١١٤، السيرة النبوية لابن كثير ٣٨٦/١،سبل الهدى والرشاد ٤٩٦/١، الشفا في أخبار المصطفى ١٢٩/١، مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب ١٠٢ ، وانظر : مع المصطفى لبنت الشاطئ ٥٤

هذه هي صفات محمد صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه شهد بها قومه ، ولم يؤثر عليه ما يثلب سلوكه الحسن مع قومه ؛ من كذب ، أو غش ، أو خيانة ، أو غيرها من سوء الخلق .

وفي المقابل فإن عمل الساحر مضاد ومناقض لمهمة وعمل الرسول، فكل من عملهما متناقضان، فالسحرة يعيثون الفساد في الأرض، ويفرقون بين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجه، ويقطعون العلاقات بين الأقارب والأرحام كما قال تعالى: (فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ) [البقرة: ١٠٢] .

أما مهمة الرسل فهي أشرف مهمة على الإطلاق؛ فهو يخرج الناس من ظلمات الشرك والوثنية، وعبادة غير الله تعالى ، والتضرع والخضوع لسواه إلى عبادة الواحد الأحد الفرد الصمد واللجوء إليه ، والتقرب بين يديه جل وعلا.

ثم إن مصدر السحر مباين لمصدر الوحي، فالسحر يأتي عن طريق الشيطان، ولا يكون ذلك إلا بعد الكفر بالله، وبعد أن يتصف بصفات الكذب والخيانة والفجور وغيرها من صفات الدناءة، وذلك بعكس صفات الرسول الذي يتلقى ذلك الوحي عن روح القدس عن رب العالمين، ففرق شاسع بين المصدرين.

-: الرد القرآني على هذه التهمة:

الرد القرآني على هذه التهمة يتلخص فيما يلي:

الأول: أن الله تعالى ذكر في كتابه أخبار رسله السابقين وما لاقوه من أقوامهم من شدة وعذاب، فلقد كان رسول الله خلف لسلف؛ فكل رسول أُوذي وحُورب من قبل قومه، ووجهت إليه التهم الباطلة لتثنيه عما هو فيه، ولصد الناس عن اتباعه، ومن تلك التهم التي وجهت للرسل السابقين اتهامهم بالسحر كما حكى القرآن عن فرعون عندما جاءه موسى بالهدى فقال له فرعون :(إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً) [الإسراء: ١٠١]، وقالت ثمود لصالح لما جاءهم بالحق : (قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ) [الشعراء: ١٥٣]، وقيل لشعيب أيضاً ذلك وغيرهم من الأنبياء، فذكر القرآن لهؤلاء الرسل وما رد به قومهم، من قبيح القول والفعل.

ووصف الأنبياء السابقين بالسحر فيه تسلية لقلب رسول الله عليه الصلاة والسلام وتصبيراً على ما يلاقيه من أذى قومه ، فأخبره القرآن أن هذا هو شأن الأمم المكذبة لرسلها: (كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ) [الذاريات: ٥٢].

الثاني: أن القرآن نفى هذه التهمة عن رسوله عليه الصلاة والسلام وذلك بإثبات أن هذا القرآن منزل من عنده سبحانه، قال تعالى:)نزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ) [يس: ٥]، وقال: (حم{١} تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ{٢} كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُون) [فصلت: ١-٣]، وغيرها من الآيات الكثيرة التي بيّن فيها سبحانه أن القرآن من عنده، وأنه ليس من كلام ساحر بل وليس من كلام بشر، قال تعالى: وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ{٢١٠} وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ [الشعراء: ٢١٠-٢١١].

المطلب الثاني: اتهامه بالكهانة

-: دوافع تلك التهمة:

لعل ما سبق من دوافع اتهامه بالسحر تكون هي دوافعهم لاتهامه بالكهانة وأقول هنا أن تنوع تلك التهم واختلافهم فيها أضرّ بهم من حيث لا يشعرون فاختلافهم يدل على عدم اقتناعهم بشيء من تلك التهم، وإنما مجرد أنهم يلعبون بعقول أولئك الذين هم ضعاف النفوس ، كما قال تعالى: بَلْ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ [الأنبياء: ٥].

تعريف الكاهن :

قال الراغب في مفرداته: "الكاهن : هو الذي يخبر بالأخبار الماضية الخفية بضرب من الظن، يقال: كَهُنَ فلان كهانةً: إذا تعاطى ذلك، وكَهَنَ إذا تخصص بذلك، وتَكَهَّنَ إذا تكلف ذلك، قال تعالى: وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ [الحاقة: ٤٢] "[١] .

وقال ابن الجوزي: "الكاهن: هو الذي يوهم أنه يعلم الغيب ويخبر عما في غدٍ من غير وحي"[٢].

فلما رأت قريش أن الله تعالى يخبر نبيه بأمور الغيب وما سيقع من أمور الآخرة، والجنة والنار ، وأخبار الأمم التي السابقة، والأمور التي ستقع وكان في كل ذلك صادقاً، قالت قريش إنما هو كاهن كما قال تعالى: (فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُون) [الطور: ٢٩].

-: حقيقة تلك التهمة مع واقعه عليه الصلاة والسلام:

من الأمور المسلمة لدى قريش أنهم لا ينكرون صدق رسول الله عليه الصلاة والسلام ولا أمانته ولا يستطيع أحد أن يطعن في ذلك منهم، بل على النقيض من ذلك فهم يعلمون صدقه وأمانته ولكن ما دفعهم إلى ذلك إلا الكبر والعناد كما قال تعالى: فَإِنَّهُمْ لاَ

---

(١) انظر: مفردات الراغب ٧٢٨

(٢) انظر: زاد المسير ٥٣/٨.

يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ [الأنعام: ٣٣]، وبذلك يناقضون أنفسهم بأنفسهم ، فكيف يعرفون أنه صادق أمين لا يكذب أبداً، ويتهمونه بهذه التهمة التي لا تقوم إلا على الكذب ولا ينجح صاحبها ولا يفلح إلا إذا كان كذاباً ماهراً، وقد اعترف بذلك كل قادات قريش "ومنهم عتبة بن ربيعة الذي عرض على النبي عليه الصلاة والسلام عدة عروض مقابل أن يكف عن سب آلهتهم، فرد عليه رسول الله بقراءة أول سورة فصلت فلما رجع إلى قومه متغيراً قالوا: نحلف بالله لقد جاءكم أبا الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس قالوا: ما ورائك يا أبا الوليد؟ قال ورائي أني قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به، قالوا سحرك يا أبا الوليد بلسانه، قال هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم"[(١)].

وقل مثل هذا مع أكثر زعماء قريش الذين عرفوا حقيقته عليه الصلاة والسلام وحقيقة ما جاء به من النور والهدى .

ثم إنهم كانوا يعلمون أن القرآن ليس كما يقولون من شعر، أو كهانة لأنهم يعرفون تلك الأشياء وحقائقها، ويسمعون القرآن فليس يشبه تلك الأشياء في شيء البتة.

-: الرد القرآني على هذه التهمة:

لقد نفى القرآن عن الرسول عليه الصلاة والسلام هذه التهمة، وأثبت أنه مرسل من الله تعالى، فقال عز وجل: فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ [الطور: ٢٩] .

قال ابن الجوزي t: "أي عظ يا محمد (فما أنت بنعمة ربك)، أي بإنعامه عليك بالنبوة (بكاهن).. والمعنى إنما تنطق بالوحي لا كما يقول فيك كفار مكة"[(٢)].

وقد أقسم الله تعالى في كتابه الكريم على أن القرآن كلامه، ليس كلام محمد كما تقول

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام ١/٣٢٢-٣٢٤.

(٢) انظر: زاد المسير لابن الجوزي ٨/٥٣.

قريش فقال تعالى: لَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ{٣٨} وَمَا لَا تُبْصِرُونَ{٣٩} إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ{٤٠} وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ{٤١} وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ{٤٢} تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ{٤٣} [الحاقة: ٣٨-٤٣]، فهذا قسم عظيم أقسم به سبحانه على أن القرآن كلامه تعالى الذي أنزله على نبيه وليس شعراً ولا كهانة.

وهنا لطيفة أشار إليه القاسمي في تفسيره، عند هذه الآية حيث قال: "نفى الإيمان في الأول بقوله (وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ) [الحاقة: ٤١]، والذكرى في الثاني بقوله (وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ) [الحاقة: ٤٢]، قال: "لأن عدم مشابهة القرآن للشعر أمر بيّن، لا ينكره إلا معاند، فلا عذر لقائله في ترك الإيمان وهو أكفر من حماره، وأما مباينته للكهانة فيتوقف على تذكر ما، لأن الكاهن يأخذ جُعْلاً ويجيب عما سئل عنه، ويتكلف السجع ويكذب كثيراً، وإن التبس على الحمقى لإخباره عن بعض المغيبات بكلام منثور فتأمل"[1].

وفي قصة إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: خرجت أتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن أسلم، فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فقمت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أعجب من تأليف القرآن، قال: فقلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش. قال: فقرأ: { إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلا مَا تُؤْمِنُونَ } قال: فقلت: كاهن. قال فقرأ: { وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلا مَا تَذَكَّرُونَ تَنزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ } إلى آخر السورة. قال: فوقع الإسلام في قلبي كل موقع [2].

ويضاف لما سبق أن القرآن ذم الشياطين والكهان ولو كان القرآن فيه شيء من ذلك لما جاء فيه ما يسبهم أو يعيبهم .

إذن فمصدر القرآن هو الله تعالى ومصدر الكهان هو الشيطان وكم بين المصدرين من تفاوت بل ولا تشابه بينهما فالأول محل الصدق والثاني محل الكذب والخداع ثم أن الله

---

(١) انظر: محاسن التأويل ١٦/٢٨٠.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٨/٢١٧

تعالى توعد وهدد نبيه إن قال شيئاً من عنده أو كذب على ربه -وحاشاه ذلك- وتوعده بالعذاب فقال تعالى بعد ذلك(وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ{٤٤} لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ{٤٥} ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ{٤٦} فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ{٤٧} وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ)[الحاقة: ٤٤-٤٨].

ثم ما قيل في الشعر يقال في الكهانة فاختلاف المضمون يدل على عدم المشابهة بين القرآن والكهانة ولو بدرجة واحدة.

المطلب الثالث: اتهامه بالجنون:

-: دوافع تلك التهمة:

لقد حار كفار قريش بما يصفون به النبي عليه الصلاة والسلام وما جاء بـه ، وكـذلك اضطربت أقوالهم وما وصفوه به حتى أنهم يصفونه بوصف هم يعلمون في قرارة أنفسهم أنه لا ينطبق عليه لما كان عليه رسول الله عليه الصلاة والسلام من رجاحة عقل واتزان، فهم لم يستقروا على وصف له يقتنعون به، وينطبق عليه؛ لذا فقد أخذ القرآن ذلك عليهم فقال تعالى: (وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ) [الحجر: ٦].

قال ابن الجوزي: "إنما قالوا ذلك استهزاء ولو أيقنوا أنه نزل عليه الذكر ما قالوا إنك لمجنون"(١)، فهم ينكرون نزول الوحي عليه لأنه مجنون.

ولعل سبب وصفه بذلك ويغيرها من الأوصاف لأنه جاءهم بأمر لم يكونوا يعلمونه من قبل بل ولا يتوقعونه، فقال عنهم القرآن : وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ{٣٦} بَلْ جَاء بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ{٣٧} [الصافات: ٣٦-٣٧].

-: حقيقة تلك التهمة مع واقعه عليه الصلاة والسلام:

لقد حكى القرآن مبيناً واقع قريش المتخبط في أمره عليه الصلاة والسلام، فهم لم يجمعوا أمرهم على تهمة بعينها، فقال تعالى: بَلْ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ [الأنبياء: ٥]. وهكذا يبين القرآن اضطرابهم وعدم إجماعهم على رأي واحد يجمع عليه الكل، ولذا لما اجتمع الوليد بن المغيرة إلى نفر من قريش يريد منهم أن يجمعوا أمرهم في شأن محمد عليه الصلاة والسلام ولا يتفرقوا في آرائهم فيكذب بعضهم بعضاً، وذلك عند قدوم الموسم فقالوا له: "فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأياً نقل به، قال بل أنتم فقولوا أسمع، قالوا: نقول كاهن، قال لا والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه، قالوا فنقول مجنون، قال ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون،

---

(١) زاد المسير ٣٨٣/٤.

وعرفناه، فما هو بخنفه، ولا تخالجه ولا وسوسته، قالوا فنقول شاعر، قال ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر.

قالوا فنقول ساحر: قال: ما هو بساحر لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم، قالوا فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال والله إن لقوله لحلاوة وإن أصله لعزق وإن فرعه لجناة، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً، إلا عرف أنه باطل"[1]، وكذلك ما حدث لعتبة بن ربيعة عندما ذهب إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام يعرض بعض الأمور مقابل أن يترك دعوته، فرد عليه رسول الله عليه الصلاة والسلام بأن قرأ عليه صدر سورة فصلت فعاد عتبة إلى قومه، وقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال ورائي أني قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم"[2]. فهذه الوقائع وغيرها تدل على تخبط قريش وأنهم يعلمون في قرارة أنفسهم صدقه ولكن الكبر والحسد منعهم من اتباعه، وكذلك معرفتهم لواقعه عليه الصلاة والسلام قبل البعثة، فقد كان معروفاً فيهم بالصدق والأمانة حتى لقب بالصدق الأمين، ولم يعرف عليه كذباً قط "كما قال هرقل لأبي سفيان عندما سأله عن أوصاف النبي عليه الصلاة والسلام .. فقال له .. فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فأجاب أبو سفيان بقوله لا .. فقال هرقل فما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله"[3]، فقد عاش النبي عليه الصلاة والسلام أربعين سنة بين أظهرهم قبل بعثته ما أثر عليه كذبة واحدة.

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٢-٣.

(٢) سيرة ابن هشام ١/٣٠٢-٣٠٣.

(٣) أخرجه البخاري (انظر فتح الباري ١/٤٢، كتاب بدء الوهي، باب حديث أبي سفيان عند هرقل وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي عليه الصلاة والسلام إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ج٣/١٣٩٣).

ومن أسلوب الرد القرآني على هذه التهمة نفيها عنه عليه الصلاة والسلام وبيان أن ما أنزل عليه إنما هو نعمة ومنة من الله تعالى حيث قال تعالى " وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون " [الحجر: ٦] فأنزل الله تعالى ردا عليهم وتكذيبا لقولهم " ما أنت بنعمة ربك بمجنون "

-: الرد القرآن على هذه التهمة:

يتمثل الرد القرآني على هذه التهمة بدعوة القرآن لكفار قريش أن يتجردوا للتفكير في حال النبي عليه الصلاة والسلام وما يدعوا إليه، ويمعنوا النظر في أمره وأنه لم تؤثر عليه كذبة قط، ولا به جنون فقال تعالى:(قل إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيد) [سبأ: ٤٦].

قال قتادة: ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان على الصفا، فدعا قريشًا فجعل يُفَخِّذهم فَخِذًا فَخِذًا: "يا بني فلان، يا بني فلان"، فحذرهم بأس الله ووقائع الله، فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لمجنون. بات يصوت إلى الصباح -أو: حتى أصبح، فأنزل الله تعالى: { أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلا نَذِيرٌ مُبِينٌ }

يقول ابن الجوزي عند تفسير هذه الآية .. "ومعنى الكلام ليتفكر الإنسان منكم وحده، وليخل بغيره وليناظر وليستشر فيستدل بالمصنوعات على صانعها ويصدق الرسول على أتباعه، وليقل الرجل لصاحبه: هلم فلنتصادق هل رأينا بهذا الرجل جنة قط ؟ ، أو جربنا عليه كذبه قط ؟ !"[1] .

ثم أرشدهم القرآن إلى الحق بقوله:(إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) [سبأ: ٤٦]، فهذه حقيقته وحقيقة ما يدعوهم إليه.

ثم إن القرآن وصفه بقوله (بصاحبكم) في هذه الآية وفي قوله: (وما صاحبكم بمجنون) [التكوير: ٢٢] يذكر بأنهم يعرفونه قبل بعثته، فقد كان فيهم ذا مكانة عظيمة من

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ٤٦٥/٦.

الصدق والأمانة، فهم يعرفون مدخله ومخرجه وأمانته وكانوا يحكمونه في بعض أمورهم فكيف يرضون حكم مجنون!.

ومن أساليب القرآن في رد تلك التهمة أن أقسم سبحانه قسماً عظيماً ولا يقسم إلا على أمر عظيم في صدر سورة (ن) بثلاثة أمور ليدل على صدقه وتبرأته من تلك التهمة فقال تعالى:(ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ{١} مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ{٢}) [القلم: ١-٢] فبرأ الله نبيه من تلك التهمة وأنه ليس به مما يقولون شيء وهي رد قول المشركين:(وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ) [الحجر: ٦]، ثم قرن النفي بقوله تعالى بعد ذلك (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ) [القلم: ٤]، فنفى عنه الجنون وأثبت له الأخلاق الحميدة التي كان متحلياً بها عليه الصلاة والسلام، ومثل هذه الآية قوله تعالى: فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ [الطور: ٢٩].

المطلب الرابع: اتهامه بالشعر

-: دوافع تلك التهمة:

إن دوافع اتهامه بالشعر وأن القرآن شعر هي نفس تلك الدوافع التي جعلتهم يتهمونه بالسحر والكهانة والجنون، فتخبطهم في أمره حيث لم يستمروا على أمر أو وصف معين يصدق عليه وعلى القرآن ويقتنعون به كما قال تعالى عنهم: بلْ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ [الأنبياء: ٥]، فتارة يجعلون القرآن سحراً، وتارة شعراً، وتارة أضغاث أحلام وتارة مفترى.

ولعل من دوافع اتهامه بهذه التهمة أن قريشاً بلغت قدراً عظيماً من الفصاحة واللغة وقول الشعر، ويتفاخرون بقول الشعر وتحسينه وتنسيقه ولما جاءهم القرآن ورأوا فصاحته وبلاغته التي عجزوا عن الإتيان بحديث من مثله اتهموا محمد عليه الصلاة والسلام بالشعر وأنه شاعر وما هذا القرآن إلا من الشعر، وما عرفوا أنه لم يكن يقرض الشعر، ولا يحبه بل هو أبغض شيء إليه كما قال تعالى: وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ [يس: ٦٩].

-: حقيقة تلك التهمة مع واقعه عليه الصلاة والسلام:

إن من كمال أوصاف النبي عليه الصلاة والسلام كونه لا يعرف الشعر ولا يقوله إذ لو كان يقوله لكانت حجة للمكذبين أن يطعنوا في صدقه؛ ولذا فقد نفى الله سبحانه وتعالى هذه الصفة عن رسوله واستحالة اتصافه بها، فقال تعالى: وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ [يس: ٦٩].

ومعنى ذلك أنه لا يستطيعه بحيث لو طلبه وأراد قرضه لم يستطع إلى ذلك، ثم إن واقعه عليه الصلاة والسلام لا يتفق مع هذه التهمة فقد كان -كما سبق- لا يحب الشعر بل هو أبغض شيء إليه فقد سئلت عائشة ﵂: (هل كان رسول الله عليه الصلاة والسلام

يتمثل بشيء من الشعر، قالت: كان أبغض الحديث إليه)[١].

ثم إنه لم يثبت عنه قول أو نظم بيت واحد ولا نصفه من الشعر، لكن ورد عنه أنه كان يتمثل ببعض الأبيات، كما ورد في قول عائشة السابق، عندما سئلت: هل كان يتمثل بشيء من الشعر؟ فقالت: كان أبغض شيء إليه، غير أنه كان يتمثل ببيت أخي بني قيس فيجعل آخره أوله وأوله آخره، فقال له أبو بكر رضي الله عنه إنه ليس هكذا، فقال عليه الصلاة والسلام: (أي والله ما أنا بشاعر ولا ينبغي لي). والبيت هو قول طرفة بن العبد في معلقته المشهورة:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ∴ ويأتيك بالأخبار من لم تزود

فكان عليه الصلاة والسلام يغيره فيقول: (من لم تزود بالأخبار).

أما ما ورد من أنه قال بعض الأبيات وتمثل بها فذلك لا يدل على أنه يحفظها أو يقولها، وإنما هو يقولها متمثلاً قول أصحابه رضي الله عنهم، كما ثبت أنه عليه الصلاة والسلام كان يوم الخندق يتمثل بأبيات عبدالله بن رواحة رضي الله عنه فيقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ∴ ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلنْ سكينة علينا ∴ وثبت الأقدام إن لا قينا

إن الآلي قد بغوا علينا ∴ وإن أرادوا فتنة أبينا

ويمد صوته بآخرها[٢].

قال ابن حجر في الفتح: " هو قول ابن رواحة، يعني يتمثل به النبي عليه الصلاة والسلام ولو لم يكن من لفظه لم يكن النبي عليه الصلاة والسلام شاعراً، وإنما يسمى شاعراً من

---

(١) انظر: تفسيره ابن جرير ٤٦١/١٠ ، وذكره ابن كثير في تفسيره ٥٨٦/٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب الجهاد والسير، باب الرجز في الحرب، رقم ٣٠٣٤، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب).

قصده وعلم السبب والوتد وجميع معانيه من الزحاف وغيرها"[١].

قال ابن كثير: "وثبت أنه قال يوم حنين وهو راكب البغلة يقدم بها في نحور العدو: (أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب)، قال: وهذا وقع اتفاقاً من غير قصد لوزن شعر بل جرى على اللسان من غير قصد[٢].

-: الرد القرآني على هذه التهمة:

سبق رد القرآن عليهم وذلك بنفي الشعر عن النبي عليه الصلاة والسلام وأنه لا ينبغي له ولا يستثني له ولو طلبه، ويتلخص الرد القرآني على شبهة قوله الشعر فيما يلي :

أولاً: أن القرآن الكريم نفى عنه صلى الله عليه وسلم تعليمه الشعر فيما يتزله عليه من الوحي وأثبت أن ما يتزل عليه هو الوحي من الله جل وعلا فقال تعالى (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ) [يس:٦٩] فأخبر عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : أنه ما علمه الشعر، (وَمَا يَنْبَغِي لَهُ) أي: وما هو في طبعه، فلا يحسنه ولا يحبه، ولا تقتضيه جِبِلَّته؛ ولهذا وَرَدَ أنه، عليه الصلاة والسلام، كان لا يحفظ بيتًا على وزنٍ منتظم، بل إن أنشده زَحَّفه أو لم يتمه.

ثانياً : وكما أنه تعالى نفى قول الشعر عن نبيه صلى الله عليه وسلم فقد نفى وصف الشعر عن القرآن الذي أوحاه إليه فقال تعالى (وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون) [الحاقة: ٤١] فلا يشبه الشعر في شيء ، بل هو مباين لكل صنوف الشعر من رجز وغيره .

ثم إن القرآن قد ذم الشعر والشعراء الذين جاء وصفهم في قوله تعالى: (وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ{٢٢٤} أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ{٢٢٥} وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ) [الشعراء: ٢٢٤-٢٢٦]. وهذه الأوصاف لا تنطبق على النبي عليه الصلاة والسلام ولا على ما جاء به وهو القرآن.

---

(١) انظر: فتح الباري ج: ٧كتاب المغازي، باب ٢٩ حديث ٤٠٩٩، وذلك عندما تمثل النبي صلى الله عليه وسلم بقول ابن رواحة: "اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة".

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٤٨٧/٣.

ثم كيف يساوي بين القرآن الكريم الذي يدعو إلى توحيد الله وعبادته والبعد عن الشرك والتحذير منه واليوم الآخر والاستعداد له، ويحث على مكارم الأخلاق وينهي عن سيئها، كيف يساوي بينه وبين الشعر الذي يدعو إلى المجون واللهو، ويحل الحرام ويجعله من الأمور الحميدة كالخمر ونحو ذلك.

المطلب الخامس: قولهم إنما يعلمه بشر

-: دوافع تلك التهمة:

لعل من دوافع تلك التهمة ما سبق من محاولة قريش البحث عن وصف ينطبق على محمد عليه الصلاة والسلام ويقنعون به في أنفسهم، ومن ثم بدأت الأفكار تطرح كل ما لديها، وهنا ظهرت هذه التهمة، ولعل من أكبر دوافع اتهامه عليه الصلاة والسلام بهذه التهمة، هي أنه إنما كان يجلس إلى بعض الناس الذين كان لهم علم بالكتب السابقة فيعلمونه، وتعلم منهم. ذلك أنهم رأوا تردد رسول الله عليه الصلاة والسلام على غلام أعجمي يعلمه الإسلام ويجلس إليه فقالوا إن هذا الغلام هو الذي يعلم محمد القرآن، لكنهم متناقضون في أقوالهم إذ أن ذلك الغلام هو أعجمي اللسان لا يعرف العربية.

على خلاف بين المفسرين في تحديد ذلك الشخص.

وقد ذكر القرطبي في تفسيره عن ابن إسحاق قال كان النبي عليه الصلاة والسلام –فيما بلغني– كثيراً ما يجلس عند المروة إلى غلام نصراني يقال له (جبر عبد بني الحضرمي) وكان يقرأ الكتب فقال المشركون: والله ما يعلم محمداً ما يأتي به إلا جبر النصراني"[1].

وَكَانَ رَسُولُ اللّه صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ – فيمَا بَلَغَني – كَثيرًا مَا يَجْلسُ عنْدَ الْمَرْوَة إلَى مَبيعَة غُلَامٍ نَصْرَانيّ يُقَالُ لَهُ جَبْرٌ عَبْدٌ لبَني الْحَضْرَميّ فَكَانُوا يَقُولُونَ وَاللّه مَا يَعْلَمُ مُحَمّدًا كَثيرًا ممّا يَأْتي به إلّا جَبْرٌ النّصْرَانيّ ، غُلَامُ بَني الْحَضْرَميّ فَأَنْزَلَ اللّهُ تَعَالَى في ذَلكَ مـنْ قَوْلهمْ { وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنّهُمْ يَقُولُونَ إنّمَا يُعَلّمُهُ بَشَرٌ لسَانُ الّذي يُلْحدُونَ إلَيْه أَعْجَميّ وَهَذَا لسَانٌ عَرَبيّ مُبينٌ } [النّحْلُ ١٠٣][2]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠/١٧٧.

(٢) انظر: الروض الأنف للسهيلي ٢/١٧٩

-: حقيقة تلك التهمة مع واقعه عليه الصلاة والسلام:

إن هذا الرأي الذي افتراه كفار قريش من السفاهة بمكان؛ إذ كيف يتهمون أشرف البشر عندهم خُلُقاً وأمانة، يتهمونه بذلك، فهم يعلمون مدخله ومخرجه وصدقه ونزاهته، كيف يفعل ذلك من هذه صفاته، ثم إن هذا القرآن الذي أعجز العرب وهم أهل الفصاحة وفرسان البلاغة، كيف لغلام أعجمي أن يأتي بمثل القرآن، إنهم يناقضون أقوالهم بأنفسهم ويردون على أنفسهم بأنفسهم.

-: الرد القرآن على هذه التهمة:

لقد شنع القرآن عليهم هذه المقالة ورد عليهم رداً منجماً يبين فيه حماقتهم وغبائهم وتفصيل الرد فيما يلي:

أولاً: وصف القرآن هذا القول بالظلم والزور، قال تعالى: قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْماً وَزُوراً [الفرقان: ٤]، فظلموا لأنهم جعلوا العربي يتعلم من أعجمي كلاماً أعجز البلغاء الفصحاء ببلاغته وفصاحته، وزوراً لأنهم اتهموه بما هو منه بريء.

ثانياً: إن القرآن خاطبهم منجماً رد عليهم فيه فقال تعالى وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ [النحل: ١٠٣]، كيف تجعلون هذا القرآن العظيم الذي لا تستطيعون أن تأتوا ولو بسورة من مثله ولو اجتمع الإنس والجن معكم كيف تجعلونه من كلام رجل أعجمي لا يعرف من العربية إلى القليل.

ثالثاً: ثم إن هؤلاء الذين يعلمونه هذا القرآن -على زعمهم- لماذا لا يدعون هم لأنفسهم بدلاً من تعليم محمد القرآن، فهم أولى بالدعوة لأنفسهم منه.

رابعاً: ثم سيرته عليه الصلاة والسلام قبل مبعثه التي كانت حافلة بالصدق والأمانة، فلم تؤثر عليه كذبة قط، فكان من أشرفهم وأعظمهم صدقاً وأمانة.

خامساً: أن القرآن قد أكد على أمية الرسول وأنه لا يكتب ولا يقرأ فقال تعالى: الَّذِينَ

يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ ..[الأعراف: ١٥٧]، وهي من صفات الكمال فيه، فلو كان يعاني شيئاً من الكتابة لقالوا يقرأ في كتب السابقين أو غير ذلك فتكون لهم شبهة في ذلك، فسداً لهذا الباب، كانت من صفاته عليه الصلاة والسلام أنه بعث أمياً لا يقرأ ولا يكتب.

وقد صرح القرآن بالرد على هذه الشبهة وأنه لو كان يكتب أو يقرأ قبل مبعثه لقالوا تلى علينا من كتب السابقين أو كتب أخيار الأمم فقال تعالى: وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ [العنكبوت: ٤٨]، يقول الإمام الشوكاني في تفسير هذه الآية: "... أي ما كنت يا محمد تقرأ قبل القرآن كتاباً ولا تقدر على ذلك لأنك أمي لا تقرأ ولا تكتب ولا تكتبه لأنك لا تقدر على الكتابة .. ثم قال: ژک ک ک ژ أي لو كنت ممن يقدر على التلاوة والخط لقالوا لعله وجد ما يتلوه علينا من كتب الله السابقة أو من الكتب المدونة في أخبار الأمم، فلما كنت أمياً لا تقرأ ولا تكتب لم يكن هناك موضع للريبة ولا محل للشك أبداً"(١).

سادساً: ثم إن الله تعالى قد حذر نبيه وتوعده إن افترى عليه شيئاً فقال تعالى: وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ{٤٤} لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ [الحاقة: ٤٤-٤٧].

قال ابن الجوزي: "أي لو تكلف محمد أن يقول علينا ما لم نقله، لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين وهو عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب، فإذا انقطع بطلت القوى ومات صاحبه، وقال أبو عبيد: الوتين نياط القلب"(٢).

---

(١) فتح القدير للشوكاني ٤/٢٠٧.

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ٨/٣٥٥.

المطلب السادس: قولهم أنه افترى القرآن من عند نفسه:

-: دوافع تلك التهمة:

إن دوافع اتهامه بالسحر والكهانة أو غير ذلك مما تهمه به الكفار هي نفس الدوافع لاتهامه بهذه التهمة لأن مرادهم من كل تلك التهم واحد وهو الطعن في الرسالة والرسول، والقرآن ولما لم يجدوا أياً من تلك المطاعن تصدق على رسول الله عليه الصلاة والسلام وما جاءهم به قالوا بهذا القول، فقالوا إن هذا القرآن مفترى، افتراه رسول الله عليه الصلاة والسلام من عند نفسه وجاء به إلى العرب ليتزعمهم وليعجزهم به، قال الراغب في مفرداته: "الفرى، قطع الجلد للخرز والإصلاح والإفراء للإفساد والافتراء فيهما وفي الإفساد أكثر وكذلك استعمل في القرآن في الكذب والشرك والظلم"(١).

وقد حكى الله ذلك عن المشركين فقال: وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَـذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ [سبأ: ٤٣]، قال القرطبي: "يعنون القرآن أي ما هو إلا كذب مختلق"(٢)، وقال تعالى: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْماً وَزُوراً [الفرقان: ٤].

-: حقيقة تلك التهمة مع واقعه عليه الصلاة والسلام:

كما سبق لم يكن الكفار مقتنعين بهذا الوصف الذي أطلقوه على الرسول عليه الصلاة والسلام والقرآن.

يؤخذ هذا من اضطرابهم في وصفه بذلك، ثم هم يعلمون شخص الرسول عليه الصلاة والسلام قبل مبعثه، وأنه لم يكن يستطيع أن يأتي بالقرآن من عند نفسه، ولو كان يستطيع لجاء به كما قال تعالى: ُل لَّوْ شَاء اللّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ

---

(١) مفردات الراغب / ص ٦٣٤، مادة "فرى".

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣١/١٤).

عُمُراً مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ [يونس: ١٦]، فقد بقي فيهم أربعين سنة قبل مبعثه ولم يؤثر عليه من ذلك شيء كما اعترف بذلك زعماء قريش ومنهم النضر بن الحارث الذي وقف على رأس قريش وقال لهم: "يا معشر قريش إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة، قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب، وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم، وقلتم كاهن لا والله ما هو بكاهن قد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم، وقلتم شاعر لا والله ما هو بشاعر قد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها: هزجه ورجزه، وقلتم مجنون لا والله ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه، يا معشر قريش، فانظروا في شأنكم فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم"(١).

وبهذا تناقضت قريش فيما تتهم به رسول الله وفيما تعتقده قلوبهم ويملأ صدورهم في رسول الله وأمره، فهم يؤمنون ولا يشكون في صدقه وأمانته وفي الجانب المقابل يتهمونه بالكذب والافتراء، فهذا هو التناقض الذي نبههم عليه النضر بن الحارث واعترف به.

-: الرد القرآني على هذه التهمة:

لقد تنوع رد القرآن على هذه التهمة فجاء بعدة أساليب منها:

أولاً : أن القرآن تحداهم في أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بعشر سور أو بسورة ولن يستطيعوا، إذن فكيف استطاع محمد أن يأتي بكل هذا القرآن، وهو بشر منهم، وواحد من قبيلتهم يعرفونه أشد المعرفة، إذن فالقرآن ليس من قول بشر، بل هو وحي إلهي، فتحداهم في بداية الأمر أن يأتوا بمثل القرآن في بلاغته ونظمه وفصاحته، وجعل لهم الاستعانة بمن شاؤوا من الجن والإنس ولن يستطيعوا إلى ذلك سبيلاً قال تعالى: لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ

(١) سيرة ابن هشام ٣٢٨/١.

لِبَعْضٍ ظَهِيرا[الإسراء: ٨٨]، ثم تحداهم بعد أن عجزوا عن الإتيان بمثله تحداهم بأن يأتوا بعشر سور، فقال تعالى: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ [هود: ١٤]، فتنازل معهم إلى عشر سور، وجعل لهم الاستعانة بمن شاؤوا على ذلك، وأمعن في التنازل بقوله مفتريات أي أن محمد واحداً منكم وأنتم تقولون أنه جاء بهذا القرآن من عنده وأنتم مثله فاجتمعوا على المجيء بمثل ما جاء به ولكن أتى لهم ذلك لأن هذا القرآن وحي إلهي، وكلام رباني لا يستطيع البشر إليه فقال راداً عليهم: فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللّهِ وَأَن لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ [هود :١٤]، ثم تنازل لهم في أن يأتوا بسورة من مثله، فقال: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ [يونس: ٣٨]، وهيهات لهم ذلك.

ثانياً : بيّن القرآن أن الرسول لو كان افترى ذلك من عند نفسه فإنه لن ينجه من عذاب الله أحد، قال تعالى: مَ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ [الأحقاف: ٨]، وقال تعالى: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَإِن يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ [الشورى: ٢٤]، فهذا بيان من الله أن محمداً لم يكن له فعل ذلك، ولو أنه فعل ذلك فإن الله قد توعده بما يبينه هنا في الآيتين، وقال تعالى: وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ{٤٤} لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ{٤٥} ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ{٤٦} [الحاقة: ٤٤-٤٦].

ومع أن هذه الآيات جاءت لتهدد وتتوعد رسول الله إن هو افترى على الله شيئاً من عنده إلا أنها بيان لصدقه وأمانته فهو لم يقل على الله شيئاً، كما قال هرقل لأبي سفيان: "فما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله"، فهم يعلمون صدقه وأمانته.

المطلب السابع: قولهم بأن القرآن أساطير الأولين:

-: دوافع تلك التهمة:

لعل السبب الرئيسي لاتهامه بهذه التهمة ما كان يحتوي عليه القرآن من قصص الأولين، والأمم السابقة التي عرضها القرآن عليهم للعبرة بها والاتعاظ.

قال الراغب في مفرداته في "أسطورة" قال المبرد: "هي جمع أسطورة نحو أرجوحة وأراجيح، وأثفية وأثافي، وأحدوثة، وأحاديث، وقوله تعالى: وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ [النحل: ٢٤]، أي شيء كتبوه كذباً فيما زعموا نحو قوله تعالى: وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً [الفرقان: ٥]"[١] وقال ابن الجوزي: "معنى أساطير الأولين: الترهان. قال ابن الأنباري: الترهات عند العرب طرق غامضة، ومسالك مشكلة يقول قائلهم: لقد أخذنا في ترهات البسابس. يعني: قد عدلنا عن الطريق الواضح إلى المشكل، ومما يعرف إلى ما لا يعرف ..."[٢].

وفي العموم فالعرب تطلق لفظ الأساطير على القصص والخرافات التي لا أصل لها وعلى ذلك فإن قريشاً لما أطلقت هذا اللفظ على القرآن الذي نزل على الرسول عليه الصلاة والسلام كانت تقصده وتريده، فهم يقولون إن محمداً لا يأتي بشيء جديد، فنحن نستطيع أن نأتي بأحسن من قصص القرآن، كما فعل ذلك النضر بن الحارث عندما قال له أبو سفيان والوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وأمية وأبياً ابني خلف، يا أبا قتيلة ما يقول محمد؟ قال: والذي جعلها بيته ما أدري ما يقول إلا أنني أراه يحرك شفتيه، يتكلم بشيء وما يقول إلا أساطير الأولين، مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية.

فأنزل الله فيه قوله تعالى: وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ [الأنعام :٢٥][٣].

---

(١) مفردات الراغب ص ٤٠٩-٤١٠، مادة "سَطَرَ".

(٢) زاد المسير ٣/٢٠.

(٣) أسباب النزول، للواحدي: ٢١٤.

قال ابن هشام في السيرة: "وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش، وممن كان يؤذي رسول الله عليه الصلاة والسلام وينصل له العداوة، وكان قد قدم الحيرة وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس، وأحاديث رستم واسفنديار، فكان إذا جلس رسول الله عليه الصلاة والسلام مجلساً فذكر فيه بالله وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله، خلفه في مجلسه إذا قام، ثم قال: أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثاً منه فهلم إلي فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسفنديار، ثم يقول من أحسن حديثاً مني"[1].

-: حقيقة تلك التهمة مع واقعه عليه الصلاة والسلام:

إن قريشاً وبخاصة النضر بن الحارث – عندما تطلق هذا الوصف على القرآن وأنه إنما هو كتاب قصص عن الأمم السابقة لا يعدو أساطير من تلك الأساطير، إنما نظروا إلى ذلك بالنسبة لما كانوا يعلمونه من قصص ومن أساطير ومن كذب لا أصل لها، لكنهم لو تدبروا ذلك وما جاء في القرآن عن الأمم الماضية حتماً فإن نظرهم ستتغير، كما قال تعالى: وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً [الأنعام: ٢٥]، وما ذلك إلا لأن قلوبهم مغلقة لا تقبل الحق، ولو تأملوا وتدبروا القرآن لوجدوه يختلف اختلافاً كبيراً عن تلك الحكايات والقصص التي لا أسس لها.

ثم إنهم جعلوا رسول الله عليه الصلاة والسلام يتلقى تلك الأساطير من رجل أعجمي كما حكى الله ذلك عنهم فقال: وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً [الفرقان: ٥].

ومعنى ذلك أنه تعلم تلك القصص من رجل أعجمي لا يعرف العربية، وقالوا ذلك لأنهم كانوا يعرفون رسول الله عليه الصلاة والسلام حق المعرفة، وأنه لم يكن يقرأ ولا يكتب، ولم يكن له علم بأخبار تلك الأمم إلا ما أوحاه الله إليه، وكيف يتعلم العربي الفصيح من الأعجمي الذي لا علم له بالعربية.

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٣٢٨/١).

-: الرد على هذه التهمة:

جاء رد القرآن على هذه التهمة بعدة أساليب:

الأول: تأكيد القرآن على أنه كلام الله منزل من عنده تعالى على رسوله فقول المشركين أن القرآن أساطير الأولين يدل على عدم معرفتهم الفرق بين هذا القرآن وبين تلك الأساطير والترهات وعند ذلك أكد القرءن كثيراً على أنه وحي من عند الله، يدل على ذلك ما رد به القرآن على همهم هذه فقال تعالى: قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً [الفرقان: ٦].

الثاني: أن الوصف بالأمية في حد ذاته عيب ونقص، ولكن في حق رسول الله عليه الصلاة والسلام وصف كمال، فلو كان قبل مبعثه يعرف شيئاً من الكتابة لما تردد كفار قريش في الطعن في صدقه فقالوا أن هذا القرآن مما تعلمه محمد قبل مبعثه، ولكن لما لم يجدوا إلى ذلك سبيلاً أرادوا الإشارة إلى ذلك فقالوا أن تلك الأساطير يتعلمها وتكتب له، فرد القرآن عليهم رداً صريحاً فقال تعالى ينفي الكتابة والقراءة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام: وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ [العنكبوت: ٤٨]، وقال في بيان أمية الرسول عليه الصلاة والسلام: الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ ..[الأعراف: ١٥٧]، وبهذا بهتهم الله وأبطل حجتهم، وأعلى كلمته وأظهر صدق رسوله.

المبحث الثالث

المعجزات التي طلبها المشركون شرطاً لإيمانهم ورد القرآن عليهم

المطلب الأول: طلبهم أن يأتيهم بالله والملائكة.

المطلب الثاني: طلبهم أن يكون له بيت من زخرف.

المطلب الثالث: طلبهم أن يرقى في السماء.

المطلب الرابع: طلبهم أن يحول جبال مكة سهولاً وأنهاراً.

المطلب الخامس: طلبهم انشقاق القمر.

المطلب السادس: طلبهم أن ينزل عليه ملك.

المطلب السابع: طلبهم أن يأتي بقرآن آخر.

المطلب الثامن: طلبهم أن يفجر لهم الينابيع من الأرض.

المطلب التاسع: طلبهم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب.

المطلب العاشر: طلبهم أن يسقط عليهم كسفاً من السماء.

الأول: طلبهم أن يأتيهم بالله والملائكة

إن من تأصل الكفر والعناد في قلبه – وعلم الله أنه لن يؤمن ولو جاءه كل ما طلب– وهو يعلم الحق ولكن لم يمنعه من إتباع الحق ألا كبر والحسد ، إن مثل هذا لا يؤمن ولو جاءه كل ما أراد ، وتحقق له كل ما طلب وشاهده بعينه عيانا فإن قلبه الممتلئ بالكفر والعند لن يقبل هذا .

ثم إن الله تعالى قد علم أنهم لن يؤمنوا ولو تحقق لهم ذلك ، فقد سبق في علمه سبحانه كفرهم كما قال تعالى: وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلآئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللّهُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ{ [الأنعام: ١١١]، ولهذا فكل المعجزات التي طلبها المشركون إنما هي على سبيل التعجيز لرسول الله عليه الصلاة والسلام ولو علم الله أنهم سيؤمنوا لاستجاب لهم ، ولكن يعلم سبحانه كفرهم وعنادهم المتأصل، ومن تلك الأمور التي طلبها كفار قريش دليلاً على صدق الرسول عليه الصلاة والسلام أن يأتيهم بالله والملائكة قال تعالى عنهم: وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرا [الفرقان: ٢١]، يقول ابن كثير في تفسيره : " يقول تعالى مخبراً عن تعنت الكفار في كفرهم وعنادهم: إِذَا جَاءتْهُمْ آيَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللّهِ [الأنعام: ١٢٤] ، ويحتمل أن يكون مرادهم أن يترل علينا الملائكة فنراهم عياناً فيخبرونا أن محمداً رسول الله"(١)، وقال تعالى عنهم في سورة الإسراء: وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعاً{٩٠} أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً{٩١} أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً [الإسراء: ٩٠-٩٢].

لكن القرآن رد عليهم رداً عنيفاً عندما طلبوا رؤية الملائكة، فقال لهم: لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوّاً كَبِيراً{٢١} يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٣/٣٢٥.

حِجْراً مَّحْجُوراً [الفرقان: ٢١-٢٢] ، فالداعي لهم لأن يقولوا ذلك هو الكبر والتجبر ، ثم قال تعالى مخبراً لهم بأنهم لو رأوا الملائكة في ذلك الوقت فإنه لا بشرى لهم، وذلك عند الإحتضار إذا جاءت الملائكة لنزع أرواحهم ، فتقول لروح الكافر اخرجي أيتها النفس الخبيثة في الجسد الخبيث ، اخرجي إلى سموم وحميم وظلٍ من يحموم ، فتأبى الخروج وتتفرق في الجسد فتضربه الملائكة كما قال تعالى: وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ{٥٠} ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ [الأنفال: ٥٠-٥١] .

المطلب الثاني : طلبهم أن يكون له بيت من زخرف:

ذكر الله تعالى طلب المشركين من النبي عليه الصلاة والسلام أن يكون له بيت من زخرف وذلك ليعرفوا فضله وتكريمه عند ربه فيؤمنوا به، والزخرف هو الذهب كما قال ابن عباس ومجاهد وقتادة[1]، وهذا الطلب هو جملة ما سأله المشركون من رسول الله عليه الصلاة والسلام ليكون برهاناً على صدقه، فأمره الله أن يرد عليهم بقوله: قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَراً رَّسُولاً [الإسراء: ٩٣]، فهو المتصرف في ملكوته يفعل ما يريد إن شاء أجابكم لما طلبتم وإن شاء لم يجبكم وما أنا إلا مرسل مبلغ لكم شرع ربكم.

وكما سبق فإن الله لو علم أنهم سيؤمنون لأجابهم، ولكن سبق في علمه أنهم لن يؤمنوا كما قال جل ذكره: إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ{٩٦} وَلَوْ جَاءتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ [يونس: ٩٦-٩٧].

فنظرهم القاصر صار يقودهم إلى طلب كهذا، يتعجزون به رسول الله عليه الصلاة والسلام في نظرهم، ويدخل الغرور في نفوسهم ولو شاء الله لأجابهم إلى طلبهم وإذا لم يؤمنوا عالجهم بالعقوبة.

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦٨/٣.

المطلب الثالث: طلبهم أن يرقى في السماء:

هذا الطلب أيضاً كسابقه فمرادهم التعجيز وليس الدليل والبرهان فهم ليسوا بأعمياء عن الحق بل هو واضح وهم يعرفونه: فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ [الأنعام: ٣٣]. وهنا طلبوا منه أن يرقى في السماء، ولا يتوقف الأمر عند ذلك بل لابد يا محمد أن تصعد إلى السماء ونحن ننظر ثم تأتي بكتاب مكتوب فيه إلى كل واحد صحيفة، هذا كتاب من الله لفلان بن فلان، تصبح موضوعة عند رأسه، وهذا الطلب تقدم به عبدالله بن أبي أمية وذلك أن قريشاً لما دعت النبي عليه الصلاة والسلام ليعرضوا عليه المال والجاه والزوجة والطب وغير ذلك ما كان منه عليه الصلاة والسلام إلا أن قام عنهم، فلما قام قام معه هذا الرجل وقال: "يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبل منهم ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل ذلك، ثم سألوك أن تجعل لهم ما تخوفهم به من العذاب، فوالله لا أومن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء ومعك سلماً ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تاتيها وتأتي معك بصحيفة منشورة ومعك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول، وأيم الله لو فعلت ذلك لظننت أني لا أصدقك، ثم انصرف وانصرف رسول الله عليه الصلاة والسلام آسفاً حزيناً[١].

وهذا عناد منهم وتعالٍ، ولذلك قال لهم القرآن: قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَراً رَّسُولاً [الإسراء: ٩٣]، يقول ابن جرير في تفسيره: "قل يا محمد لهؤلاء المركين من قومك القائلين لك هذه الأقوال تنزيهاً لله عما يصفونه به وقوله بَشَراً رَّسُولاً هل أنا إلا عبد من عبيده من بني آدم فكيف أقدر أن أفعل ما سألتموني من هذه الأمور، وإنما يقدر عليها خالقي وخالقكم وإنما أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم"[٢].

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤٩/٨-١٥٠) رقم ٢٢٧١٩، وابن كثير في تفسيره ٦٦/٣، ابن هشام في السيرة ٣٢٤/١-٣٢٥، بن الجوزي في زاد المسير ٨٥/٥، والواحدي في أسباب النزول ٢٩٢، والسيوطي في لباب القول في أسباب النزول ١٤٠).

(٢) جامع البيان للطبري ١٤٩/٨.

المطلب الرابع : طلبهم أن يحول جبال مكة سهولاً وأنهاراً:

وهذا أيضاً من جملة مطالبتهم وشروطهم المتعنتة عن طلب الحق، قال ابن كثير: "سئل أحد التابعين عن قوله تعالى: وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى [الرعد: ٣١]، قالوا يا محمد لو سيرت لنا جبال مكة حتى تتسع فنحرث فيها، أو قطعت بنا الأرض كما كان سليمان يقطع لقومه بالريح، أو أحييت لنا الموتى كما كان عيسى يفعل لقومه فأنزل الله لنا هذه الآية"[1].

وقد رد الله عليهم بأنه لو كان هناك كتاب تسير به الجبال أو تقطع به الأرض أو يُكلم به الموتى لكان هذا القرآن الذي يبلى عليكم هو أحق وأولى بأن يكون كذلك ففند الله دعواهم وأبطل حجتهم في ذلك، ثم طلب الآيات ليس هو الطريق إلى الإيمان، بل هو سبيل المعاندين، إذ لو كانوا من أهل الإيمان لما طلبوا تلك الأمور، ولكن هي صفة المعاندين، ولو شاء الله لأجابهم ولكن لن يؤمنوا؛ لأن الهداية بيد الله، قال تعالى: قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ [الرعد: ٢٧]، فمرجع ذلك إلى النفوس، فنفوس الصحابة g الذين صدقوا رسول الله عليه الصلاة والسلام في أول أمره كخديجة وأبي بكر ليست كنفوس هؤلاء المعاندين، فأولئك لم يطلبوا كما طلب هؤلاء بل صدقوه وقد يعترضون على تلك الخارقة أنها ليست كما يجب فيطلبون خارقة أخرى وهكذا.

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي ٢٧٤، تفسيرابن كثير ٥٣٤/٢، وذكر أن هذا يروى عن أبي سعيد، وابن عباس، والشعبي وقتادة والثوري وغير واحد.

المطلب الخامس: طلبهم اشنقاق القمر

هذه المعجزة من المعجزات الحسية التي طلبها المشركون، فقالوا لرسول الله عليه الصلاة والسلام نريد أن نرى آية فأراهم الله انشقاق القمر.

روى البخاري بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: "سأل أهل مكة أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر"[١].

فِي رِوَايَة مُسْلِم مِنْ طَرِيق عَلِيّ بْن مُسْهِر عَنْ الْأَعْمَش " بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِنًى إِذْ انْفَلَقَ الْقَمَر " وَهَذَا لَا يُعَارِض قَوْل أَنَس أَنَّ ذَلِكَ كَانَ بِمَكَّة ، لِأَنَّهُ لَمْ يُصَرِّح بِأَنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لَيْلَتئِذ بِمَكَّة ، وَعَلَى تَقْدِير تَصْرِيحه فَمِنًى مِنْ جُمْلَة مَكَّة فَلَا تَعَارُض .

قال ابن عباس: اجتمع المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم الوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، والعاص بن وائل، والعاص بن هشام، والاسود ابن عبد يغوث، والاسود بن المطلب [بن أسد بن عبدالعزى] ، وزمعة بن الاسود، والنضر بن الحارث، ونظراؤهم [كثير].

فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إن كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين نصفا على أبي قبيس ونصفا على قعيقعان.

فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: " إن فعلت تؤمنوا ؟ " قالوا: نعم.

وكانت ليلة بدر، فسأل الله عزوجل أن يعطيه ما سألوا، فأمسى القمر قد سلب نصفا على أبي قبيس ونصفا على قعيقعان، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى: يا أبا سلمة بن عبد الاسد والارقم بن الارقم اشهدوا.[٢]

وذكر ابن كثير t في تفسيره رواية عن عبدالله بن عمر c في قوله تعالى: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ [القمر: ١]، قال: "وقد كان ذلك على عهد رسول الله عليه الصلاة

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب التفسير، باب سورة: اقتربت الساعة، ح رقم ٤٨٦٧)

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن كثير ١١٦/٢

والسلام الشق فلقتين، فلقة من دون الجبل، وفلقة من خلف الجبل، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: اللهم أشهد"[1].

لكن المشركين عندما رأوا ذلك قالوا سحرنا محمد فقال الله عنهم: ﴿إِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ٢].

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٣٣٥، وقال: وهكذا رواه مسلم والترمذي في طرق عن شعبة عن الأعمش عن مجاهد به.

المطلب السادس: طلبهم أن ينزل الله عليه ملك

وهذا طلب آخر طلبه المشركون من الرسول عليه الصلاة والسلام ليتبين لهم صدقه فقالوا لماذا لا يتزل معك ملك ليكون نذيراً معك، وهذا القول قاله من سبقهم لأنبيائهم فقد قال فرعون لموسى مزدرياً له: فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاء مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ [الزخرف: ٥٣]، وقال الكفار لرسول الله عليه الصلاة والسلام: لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً [الفرقان: ٧]، وقال تعالى: وَقَالُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكاً لَّقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ [الأنعام: ٨]، ورد الله عليهم أنه تعالى لو أنزل ملائكة لجاءهم العذاب وهم على ما هم عليه فقال تعالى: وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكاً لَّقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ [الأنعام: ٨]، وقال مَا نُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَا كَانُواْ إِذاً مُّنظَرِينَ [الحجر: ٨]، وقال: يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ... الآية [الفرقان: ٢٢]. ثم بين لهم سبحانه إن الحكمة بين كون الرسول بشراً من جنسهم ليتسنى لهم مخاطبته والاقتداء به بعكس لو كان ملكاً لا يستطيعون رؤيته من النور، ثم إنه سبحانه لو جعل من الرسول ملكاً لكان على هيئة البشر حتى يتمكنوا من مخاطبته، ولذلك سيلتبس عليهم، قال عنهم: وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ [الأنعام: ٩]، فمن رحمة الله بعباده أن جعل رسولهم من جنسهم كما قال تعالى: لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ [آل عمران: ١٦٤].

المطلب السابع: طلبهم أن يأتي بقرآن آخر

هذا الطلب من جملة ما طلبه المشركون ليكون بياناً لهم على صدقه، وهم لم يطلبوا تلك الأمور على سبيل البيان والبحث عن الحق لاتباعه لأنهم يعلمون أنه الحق، وإنما مرادهم السخرية والاستهزاء، التعنت، فقالوا له هنا نريد منك أن تأتي بقرآن غير هذا أو تبدله.

فقال تعالى حاكياً قولهم: وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْهُ [يونس: ١٥]، يقول الفخر الرازي: "اعلم أن إقدام الكفار على الالتماس يحتمل وجهين:

الأول: إنهم ذكروا ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء مثل أن يقولوا: إنك لو جئتنا بقرآن غير هذا القرآن أو بدلته لآمنا بك وغرضهم من هذا الكلام السخرية والتطير.

الثاني: أن يكونوا قالوا على سبيل الجد .

ورد الله عليهم هذا القول بأمرين هما:

الأول : عدم استطاعته على إبداله من تلقاء نفسه، لأن ذلك ليس إليه إنما هو عبد مبلغ، وإنما ذلك إلى الله سبحانه، فقال عز وجل وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ [يونس: ١٥].

الثاني: أنه أخبرهم أنه لا يأتي بهذا القرآن من عند نفسه بل هو من عند الله تعالى والدليل على ذلك أني قد مكثت فيكم أربعين سنة قبل مبعثي وتعلمون فيها صدقي وأمانتي ومدخلي ومخرجي، وفيها لم أقل من ذلك شيء، أفلا تدركون ذلك بعقولكم (قُل لَّوْ شَاء اللّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ) [يونس :١٦].

المطلب الثامن: طلبهم أن يفجر لهم الينابيع من الأرض

حكى الله قولهم ذلك بقوله تعالى: وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعاً [الإسراء: ٩٠]، قال ابن الجوزي: "الينبوع: عين ينبع الماء فيها، قال أبو عبيدة: هو يفعلو من نبع الماء، أي ظهر وفار"[1]، فطلبوا أن يجري لهم عيناً ينبع فيها الماء، قال ابن كثير: "وذلك سهل على الله لو شاء لفعله ولأجابهم إلى جميع ما سألوا وطلبوا ولكن علم أنهم لا يهتدون كما قال: إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ{٩٦} وَلَوْ جَاءتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ [يونس: ٩٦-٩٧].

وكل هذه المقترحات تدل على سذاجة القوم في تلك المطالب التي يرون أنهم قد تعجزوا بها رسول الله عليه الصلاة والسلام، وأنهم سيلجمونه ويسكتونه عن دعوته وما عرف القوم أن الله ناصر رسوله وسيظهر دعوته ولو بقوا على تعنتهم وطلبهم تلك الأمور.

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ٥/٨٧.

المطلب التاسع: طلبهم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب

وحكى الله ذلك الطلب في قوله تعالى في سورة الإسراء: أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيراً [الإسراء: ٩١]، أي يكون لك يا محمد بستان فيه أشجار كثيرة وفواكه من نخيل وعنب وغيرها، تجري خلالها الأنهار المتفجرة، وهكذا قصر إدراكهم عن التطلع إلى آفاق الإعجاز القرءن فراحوا يطلبون تلك الخوارق المادية ويتعنتون في اقتراحاتهم الدالة على الطفولة العقلية أو يتبجحون في حق الذات الإلهية بلا أدب ولا تحرج، وعلقوا إيمانهم بالرسول عليه الصلاة والسلام بأن يفجر لهم من الأرض ينبوعاً أو بأن تكون له جنة من نخيل وعنب يفجر الأنهار خلالها تفجيراً أو أن يأخذهم بعذاب من السماء فيسقطها عليهم قطعاً كما أنذرهم أن يكون ذلك يوم القيامة، أو أن يأتي بالله والملائكة قبيلاً يناصره ويدفع عنه كما يفعلون هم في قبائلهم أو أن يكون له بيت من المعادن الثمينة أو أن يرقى إلى السماء فيأتي بكتاب محبر، فكان الرد عليهم أن أمره ربه أن يبين لهم حقيقته وأنه لا حول له ولا قوة وأن كل ذلك بيد الله إن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم.

المطلب العاشر: طلبهم أن يسقط عليهم كسفاً من السماء

هذا دليل استعجالهم العذاب كما استعجل الأقوام السابقون من أنبيائهم العذاب، كما قال تعالى عن قوم عاد عندما دعاهم نبيهم (هود) عليه السلام للإيمان بالله وخوفهم من عذابه، فردوا عليه بقولهم: (قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) [الأعراف: ٧٠]، وقال عن كفار مكة في استعجالهم العذاب: (إِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) [الأنفال: ٣٢].

قال الراغب في مفرداته: ".. الكسفة: قطعة من السحاب والقطن ونحو ذلك من الأجسام المتخلخة الحائلة، وجمعها (كسف) قال تعالى: (وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً) [الروم: ٤٨]، وقال تعالى: (فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفاً مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) [الشعراء: ١٨٧]، وقال: (أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً) [الإسراء: ٩٢].

كسْف: جمع كِسْفة نحو سدرة وسدر قال تعالى : (وَإِن يَرَوْا كِسْفاً مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطاً يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ) [الطور: ٤٤]"[(١)]، ولكن الله عز وجل أعطى نبيه عليه الصلاة والسلام الأمان فلا يعذبهم فقال تعالى: (وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) [الأنفال: ٣٣].

قال ابن عباس رضي الله عنه: "كان فيهم أمانان: النبي عليه الصلاة والسلام والاستغفار فذهب النبي عليه الصلاة والسلام وبقي الاستغفار". ولذا لما خرج النبي عليه الصلاة والسلام من بين أظهرهم أوقع الله بهم بأسه يوم بدر، فقتل صناديدهم وزعمائهم[(٢)]. والله أعلم.

---

(١) انظر: مفردات الراغب ص ٧١١، مادة "كسف".

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣١٧/٢).

الخاتمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على بينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد

في خاتمة هذا البحث الذي كان الهدف منه بيان مكانة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكيف انتصر الله تعالى له .

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث ما يلي :

أولاً : أن الله تعالى لم يخذل نبيه عليه الصلاة والسلام ؛ بل كان له مؤيداً ونصيراً ، ومعيناً وظهيراً ، فأيده بالبراهين الساطعة ، والحجج الواضحة .

ثانياً : أن الحق ظاهر وغالب مهما حاول الكفار والمعاندون طمس حقيقته ، أو صرف الناس عنه فإنه ظاهر وغالب .

ثالثاً : صبر النبي صلى الله عليه وسلم على أذى قومه الفعلي والقولي ، لعلمه بجهلهم بدعوته في أول الأمر ، ولأنه لم يرد الانتقام لنفسه .

أسأل الله تعالى أن يكون عملي هذا خالصاً له ، وأن ينفع به كاتبه وقائله والله من وراء القصد وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فهرس المصادر والمراجع

١- أسباب النزول لأبي الحسين علي بن أحمد الواحدي، تحقيق وتدقيق عصام عبدالمحسن الحميدان، نشر دار الإصلاح، الدمام، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ.

٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن، للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، نشر مكتبة ابن تيمية، القاهرة، طبعة ١٤١٣هـ.

٣- الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق الدكتور أحمد حسن فرحات ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ، نشر دار المنارة بجدة.

٤- بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي ، تحقيق محمد معوض ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ، نشر دار الكتب العلمية – بيروت

٥- البداية والنهاية للحافظ أبو الفداء ابن كثير، تدقيق "مجموعة من العلماء"، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

٦- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرين ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ، نشر دار الكتب العلمية – بيروت .

٧- بنو إسرائيل في ميزان القرآن الكريم، للدكتور صابر طعيمة، نشر دار الجيل، بيروت.

٨- الترتيب والبيان عن تفصيل آي القرآن، ترتيب وتفسير محمد زكي صالح، نشر دار الكتب العلمية، بغداد، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.

٩- تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير، نشر دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.

١٠- جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، نشر دار

الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

١١- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية .

١٢- زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ.

١٣- زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبدالقادر الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السادسة والعشرين.

١٤- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي تحقيق وتعليق عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، نشر : دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٤١٤ ه – ١٩٩٣ م

١٥- السيرة النبوية لابن هشام، علق عليها وخرج أحاديثها د/ عمر عبدالسلام تدمري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤١٣هـ.

١٦- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، دراسة تحليلية، للدكتور مهدي رزق الله، نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

١٧- السيرة النبوية للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، نشر دار المعرفة –بيروت ١٣٩٦هـ

١٨- الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض اليحصبي ، نشر دار الفكر – بيروت ١٤٠٩هـ

١٩- صحيح البخاري لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، نشر دار الكتب

العلمية، بيروت، الطبعة الولى ١٤١٢هـ.

٢٠- صحيح مسلم بشرح النووي، نشر مؤسسة الكتب الثقافية .

٢١- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير لمحمد بن عبد الله بن يحيى بن سيد الناس، نشر مؤسسة عز الدين للطباعة – بيروت ١٤٠٦هـ

٢٢- فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد علي بن حجر العسقلاني، ترقيم وترتيب ومراجعة محمد فؤاد عبدالباقي، محب الدين الخطيب، قصي محب الدين الخطيب، نشر دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ.

٢٣- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشيخ محمد بن علي الشوكاني، نشر دار الفكر، بيروت، الطبعة التاسعة ١٤٠٠هـ.

٢٤- لباب النقول في أسباب النزول للحافظ جلال الدين السيوطي، نشر دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة السابعة ١٤١٠هـ.

٢٥- محاسن التأويل للشيخ جمال الدين القاسمي، تخريج وتصحيح محمد فؤاد عبدالباقي، نشر دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ.

٢٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ، نشر دار الكتب العلمية – بيروت .

٢٧- مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم للإمام محمد بن عبد الوهاب ، نشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف في المملكة العربية السعودية ١٤١٨هـ

٢٨- المدخل لدراسة القرآن الكريم للشيخ محمد أبو شهبة، نشر مكتبة المؤيد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية .

٢٩- مع المصطفى صلى الله عليه وسلم لعائشة بنت الشاطئ ، الطبعة الأولى ، نشر

دار الكتاب العربي – بيروت ١٣٩٢هـ .

٣٠- معالم التنزيل للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق محمد النمر وآخرون، الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ ، نشر دار الكتب العلمية- بيروت

٣١- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن للشيخ محمد فؤاد عبدالباقي، نشر دار الحديث، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ.

٣٢- معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية لعمر رضا كحالة، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٣٣- مفرد ألفاظ القرآن للعلامة الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داوودي، نشر دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٣٤- ميزان الاعتدال في نقد الرجال للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق "جمع من العلماء" نشر دا الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.